المحاضرة الثانية في مقرر "النظم التربوية" لطلبة السنة الثانية إرشاد نفسي

ملاحظة هامة..

كل ما سيرد في هذا الملف (الفصل الثاني) مطلوب بالكامل

د. ســـــلاف نعيـــــم

الفصل الثاني
التربية والنظام التعليمي في الحضارات القديمة

أولاً- التربية والنظام التعليمي لدى اليونانيين :

تعود الجذور الأولى لأصول القبائل اليونانية إلى أصول شرق أوسطية ،فيونان اسم عشيرة سورية أطلق على أسماء العشائر الأخوات الأخرى فيما بعد (٢٨ ، ص ٦٨٨). ومن أشهر القبائل التي تكونت منها (اليونان) هي اليوليون Aeoliuns ، والدوريون Darians ،والآخائيون Acheans ،والايونيون Lonians .وقد بقيت هذه القبائل منفصلةً بعضها عن بعض إلى ما بعد القرن الحادي عشر قبل الميلاد . ثم جمعتهم وحدة اللغة والدين ، وصاروا كأبناءِ أسرةٍ واحدةٍ أُطلِقَ عليها اسم هلينيين نسبة إلى هيلان (القوي – الشجاع) وحفظوا وحدة جنسهم . وتُجمِعُ المصادر العربية على أن هؤلاء جميعاً من نسل يافث بن نوح(٢٨،ص ٦٩١) .

ويرجع الفضل الأكبر في تطوير الحضارة اليونانية إلى الأيونيين بصفة خاصة ، فقد كانوا أبرز القبائل اليونانية وأقدرهم على العمل الخلاق ، حتى أصبحت بلادهم مهداً للثقافة اليونانية العريقة ففيها نظمت القصائد الهوميرية ومنها خرج العلم والفلسفة (٣ ،ص٥٦) .

كانت الديمقراطية شكلاً من أشكال الحكم،ظهرت معه وقبله وبعده، أشكال أخرى كثيرة ، لكنها سقطت في مسار التاريخ الإنساني ، وأخفقت على محك التجربة البشرية ، وكانت هذه النظم السياسية ، على الأغلب ، يونانية الأصل ، فأثينا نفسها مرّ عليها،كما مرّ على غيرها من المدن اليونانية ، نظام الحكم (حكم القلة الفاضلة) ،والاوليجاركي (حكومة القلة الغنيّة التي تعمل لصالحها الخاص)،

والتيراني Turanos (أي حكومة الطغيان)،والديماغوجية Demagogia والحكم الملكي ... فهذه كلها أشكال من النظم السياسية ظهرت في بلاد اليونان ، وما تزال أسماؤها يونانية الأصل حتى الآن . و في الوقت الذي كانت فيه أثينا تمارس شكلاً من أشكال الديمقراطية ، هو الديمقراطية المباشرة ، كانت إسبرطة (إحدى مدن اليونان) تحكم حكماً عسكرياً أرستقراطياً.

وكانت سيراقوصته (مدينة في صقلية) قد انتقلت من الحكم الأوليجاركي إلى الحكم الملكي ...فثمة أشكال كثيرة مختلفة ومتنوعة ظهرت من الديمقراطية عند اليونان ، سقطت كلها وبقيت التجربة الديمقراطية التي أثبتت جدارتها وقيمتها ، فأصبحت الشكل السياسي النموذجي من أشكال الحكم (٦ ،ص٨- ٩) .

أما التربية اليونانية ، سواء أكانت في أثينا أم في إسبرطة أم في المدن الأخرى ، فهي انعكاس حقيقي عن طبيعة نظام الحكم فيها ، فهي متغيرة بتغير أشكال هذا الحكم . فالتربية اليونانية لم تكن واحدة في شتى العصور ، ولم تأخذ شكلاً واحداً في مختلف المدن ، ولو أنها كانت تتميز بمنحى يميزها من غيرها من البلدان الأخرى . ففي حين نرى أن روح المحافظة و الجمود و الحد من حرية الفرد ، هي التي تميز التربية الشرقية (بابل – مصر – فارس) نرى روح التجديد والابتكار وروح الحرية الفردية هي التي تميز التربية اليونانية . فاليونانيون قد أفسحوا المجال واسعاً نحو الشخصية الفردية الإبداعية ، فأنتجت الفكر والفلسفة والعلم والمعرفة والشعر والموسيقا والفن والأدب في جميع أشكالها ، السياسية والفنية والأخلاقية والميثولوجية والعلمية ، وجعلوا غاية التربية لديهم ، أن يصل الإنسان إلى السعادة والحياة الرغيدة ، فكان التكوين الروحي للفرد موضع عنايتهم وتكامله النفسي وكماله الروحي والجسدي ، المثل الأعلى لديهم .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الديمقراطية لدى اليونانيين كانت تختلف كثيراً ، في مدلولاتها ،عن رؤيتنا المعاصرة ، فقد كانت الديمقراطية لديهم تعني ديمقراطية السادة الأحرار فقط ، ولم يكن للعبيد وطبقات الشعب الأخرى دور فيها . وعلى أية حال تعد تجربة الديمقراطية اليونانية تجربة رائدة ، قدمت للبشرية عناوين بارزة ما تزال تستلهم العقول وتأسر القلوب حتى الوقت الحاضر .

أ- التربية والنظام التعليمي في إسبرطة :

تهدف التربية الإسبرطية إلى إحكام سيطرتها على الفرد ، وأعدت لذلك مجموعة من القوانين والأنظمة الصارمة . ويعزى هذا النظام إلى الطبيعة الجغرافية القاسية ، وإلى الظروف التاريخية والسياسية التي تعرضت لها إسبرطة ، وإلى التهديد الخارجي والداخلي المستمر . فتحولت إسبرطة إلى ترسانة مسلحة ، تعيش في جو من التوتر . لذلك كانت التربية الإسبرطية تهدف إلى غرس صفات الشجاعة والطاعة العمياء للقانون حتى يصبح الإسبرطي جندياً باسلاً لا يهاب الموت . و هذه الصفات ، كانت مطلوبة عند الرجال والنساء على السواء .

فقد ضحى الإسبرطيون بالتربية الروحية في سبيل التربية الجسدية،وكانت القوة الجسدية والقدرة الحربية ، هي الخصال المفضلة لديهم ، فكانت نتيجة هذه التربية أن خلقت أبطالاً مقاتلين أشداء ، جهلاء لكنهم شجعان و بواسل يقاتلون بضراوة ، وهذا كان هو الهدف ، الذي يضمن للإسبرطيين بقاء هم ويخدم حكمهم .

يبدأ منهج التربية الإسبرطية ،منذ ولادة الطفل، فالدولة تمتلك الطفل ، وتحدد ما إذا كان هذا المولود يستحق الحياة أم الموت ، عن طريق مجلس من المسنين . فإذا رأوا في الطفل ضعفاً تركوه في العراء ثم عادوا إليه بعد فترة ، فإذا تحمل الجوع

وتقلبات الجو ، سمحوا له بالحياة وإلا فخير لهم أن يموت حتى لا يصبح موطناً ضعيفاً وعالة على الدولة . وإذا استطاع الصمود ، بحكم تكوينه الفيزيولوجي ، أعادوه إلى أمه ، ويبقى في رعايتها حتى سن السابعة ثم يرسل بعد ذلك إلى المدرسة ، التي تديرها الدولة ، فيتولاه مدرس يعاونه بعض المساعدين ، ويعيش الطفل في المدرسة مع غيره من الأطفال في ظل نظام يمتاز بالقسوة والخشونة وينام في معسكرات عامة . ويقسم الأطفال عادة إلى مجموعات تتكون كل منها من ٦٤ طفلاً ، على رأسهم قائدٌ يسمى (البرين – Irens) يُختارُ لشجاعته وقوة شخصيته ويدين له الأطفال بالولاء والطاعة والاحترام .

لم يعنَ الإسبرطيون ، في البداية ، بالتعليم إلا بالقدر الضروري و لم تكن مدارس الدولة تعلم القراءة والكتابة ، وكان من يرغب في تعلّم هذه المهارات ، يلجأ إلى المدرسين الخصوصيين . أما أشعار هوميروس والأغاني الوطنية ، فقد اهتم المسؤولون بها على أساس أنها تدعو إلى الحماسة وتوقظ الهمم أكثر من كونها مادة للتقدير الأدبي والفني (٣ ، ص ٥٨) .

أما البنات ، فكان يعهد بتربيتهن إلى أمهاتهن ، وكنّ يخضعن لتدريبات رياضية ، كالمصارعة والسباحة والجري ورمي القرص والرمح ، بهدف تكوين زوجات قويات ينجبن محاربين أشداء أصحاء . و كانت المرأة لا تقل عن الرجل في المكانة ، وحظيت بالاحترام في المجتمع الإسبرطي ، على عكس بنات جنسها في المجتمعات الشرقية الأخرى .

وهكذا اتجهت التربية الإسبرطية إلى أولاد الأعيان والنبلاء مغفلة أولاد العامة والسوقة وهم الأكثرية ، كما اتجهت لإعزاز المدينة الإسبرطية وحدها ، مغفلة واجب أبنائها تجاه بلاد الإغريق عامة وتجاه الإنسانية جمعاء ، لذلك لم تقدّم أعمالاً ذات أثر

كبير في تقدم الحضارة كما فعلت التربية الأثينية .

ب- التربية الأثينية :

تقول الأسطورة اليونانية: بأن أثينا ، أو العذراء أثينا Palusathena لم تلدها أم ، بل انبثقت من رأس زيوس zeus[1] . بجسد كامل مرتدية درعاً . تظهر في تاريخها الأولي في الإلياذة، متوحشة ، ربة حرب لا تعرف الشفقة إنها ربة المدنية والمحافظة على الحياة الحضارية ، راعية الزراعة والحرف ، إنها ابنة زيوس المدللة ، يثق بها و يأمنها على درعه وسلاحه المدمّر ، الصاعقة . وغالباً ما كانت توصف بأنها (ذات العيون الرمادية) أو أنها (ذات العيون المتقدة). كانت زعيمة الآلهات العذارى الثلاث تدعى العذراء (باريثنوس) ويدعى معبدها (البارثنون) تجلت في الأشعار الأخيرة كمجسدة للحكمة والعقل والصفاء ، أثينا هي مدينتها الخاصة ، شجرة الزيتون،التي أوجدتها، هي شجرتها المفضلة ، والبومة طائرها المعروف (٦٠ ،ص٣٧ – ٣٨) .

هذه الأسطورة على بساطتها ، تعكس إلى حدّ كبير آلية تطور الفكر اليوناني برمته ، من مرحلة الحروب والقتال في المرحلة الهمجية والبربرية ، مرحلة الحروب والاضطرابات ، إلى مرحلة الصفاء و الحكمة و الأدب والجمال ، مرحلة الاستقرار والازدهار الحضاري لدى اليونانيين ، الذين قدّموا للعالم أبجدية حضارته المعاصرة ، السياسية والفلسفية والأخلاقية والفنية .

اتجهت التربية الأثينية بعد القرن الخامس قبل الميلاد ، إلى التقليل من الاهتمام بالنواحي الجمالية والدينية ، مكرّسة اهتمامها للجانب العقلي . وقد جاء ذلك نتيجة لهزيمة أثينا على يد الإسبرطيين في الحروب البليونيزية ، وفيما بعد هزيمتها أيضاً على

---

(١)زيوس (جو بتر) سيد السماء ورب المطر و جامع الغيوم التي منها تتولد الصواعق المرعبة ، كانت قوته أعظم من قوة كل الآلهة مجتمعين . لكنه لم يكن كلي القوة أو العلم (٦٠،ص ٣٣ –٣٤).

يد المقدونيين . وتحوّل هدف التربية الأثينية من تربية الرجل الحرّ ، إلى تربية الرجل الذي يُعنى بالأمور العقلية لا بالأمور الأخرى .وكان لهذا التحول أثره على أنواع التعليم ومراحله كلها(٥٥ ،ص ٨١-٨٢) .

أما من حيث المبدأ ، فقد هدفت التربية الأثينية إلى تكوين تناسق بين روح تحس بالجمال وتقدر الأدب وجسم رشيق قوي . هدفت إلى تكوين الرجل الكامل جسماً وعقلاً وخلقاً ، الجندي الذي يذود عن الوطن ، والمواطن القادر على المساهمة في ثقافة بلده وقت السلم . لقد استهدفت التربية الأثينية تحرير عقل الإنسان وتكوين اتجاه فكري ناقد نحو الحياة والمجتمع ،وتنمية الاتجاه الديمقراطي التحرري لديه . وقد عرفت هذه التربية بالتربية الحرّة لأنها : استهدفت الوفاء باحتياجات الأفراد الأحرار سياسياً . وهذه التربية الحرة ، اقتصرت على فئة معينة متميزة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ، وتعدّ امتيازاً للطبقة العليا ، التي كانت لها السيادة في المجتمع ، أما طبقة الأرقاء والعبيد فلم تكن لتحلم بهذه التربية .

نظام التعليم الأثيني

١- مرحلة الطفولة :أنيطت تربية الأطفال حتى سن السابعة من العمر إلى المربيات والحاضنات من الإماء،تحت إشراف الأمهات.وكان الطفل في هذه المرحلة يستمال إلى سماع الموسيقا والأشعار السهلة والحكايات عن الأبطال والآلهة ،المستوحاة من أشعار هوميروس (هومر) ويحمل على حفظها لتتكون عنده قوة الخيال والروح الشعرية التي تميز أهل أثينا (٣ ،ص ٦٢) .

٢-التعليم الأولي : يبدأ هذا النوع من التعليم منذ سن السابعة من العمر ، حيث يبدأ الآباء بإرسال أبنائهم إلى المدارس ، التي أنشأها المعلمون .ويعهد الطفل إلى رفيق

يصحبه ، غالباً ما يكون هذا الرفيق عبداً يتولى الإشراف على الصغير سلوكياً وأخلاقياً. يقول ول ديورانت : إن لفظ (بيداغوغ) لم يكن يطلق على المعلم بل كان يسمى به العبد الذي يصاحب الطفل كل يوم في ذهابه إلى المدرسة والعودة منها.

أما المناهج الدراسية ، فكانت في الغالب تدور حول تعليم الكتابة والحساب والموسيقا والألعاب الرياضية . وكان الكثير من المواد الدراسية يصاغ في عبارات شعرية وموسيقية لسهولة حفظها . أما البنات فكن يتعلمن في منازلهن ويتدربن على تدبير شؤون المنزل . وكانت أمهاتهن يعلمنهن القراءة والكتابة والحساب والتطريز والموسيقى والرقص والغناء (٥٥ ،ص٨٦) .

٣-التعليم الثانوي : إذا بلغ الغلام الأثيني الخامسة عشرة من عمره ، وكان من أبناء الطبقة الموسرة ، انتظم في سلك التعليم الثانوي . وهو نوع راق من التعليم ، له معاهد تعرف بمعاهد التربية البدنية (الجمنازيوم – Gymnasium) وتقام عادةً في الغابات الكثيفة القائمة بأطراف المدينة . وله أساتذة من أقوى الأثينين أجساماً وأصلبهم عوداً. وهذه المعاهد الحكومية تديرها الحكومة وتنفق عليها من الخزينة العامة (٣،ص٦٦) .

وفي المرحلة الثانوية يتعلم الشباب النحو والخطابة والفلسفة والمنطق والسياسة والفلك والطبيعيات... على يد السوفسطائيين لقاء رسوم معينة . ويعد هؤلاء السوفسطائيون من أبرع اليونانيين وأكثرهم ثقافة وحنكة ، احتذبتهم أثينا من أرجاء اليونان جميعها. ومن أهم الأفكار التي كان السوفسطائيون يؤمنون بها ويعلمونها " إن الإنسان مقياس كل شيء ،وهو مقياس وجود الأشياء وعدم وجودها "(٥٥ ، ص٩٠)

لقد كان لمغالاة السوفسطائيين في نصرة المذهب الفردي ، آثار سلبية فيما يتعلق بالحياة الدينية والخلقية في أثينا . وكان أشهر محاربيهم و منتقديهم من أنصار النظام القديم ، الذين تشبثوا بالعقائد والتقاليد القديمة ، ونادوا بالعودة إليها . وقد أدى

هذا الصراع إلى ظهور جماعة من كبار الفلاسفة ، عمدت إلى شق طريقها المتميز في علاج مشكلات المجتمع اليوناني بصورة عامة والتربية اليونانية بصورة خاصة .حيث رأت أنّ أفضل حل يتمثل في أن تضع الحكومة نظاماً جديداً للتربية يكفل مصالحها وخدمتها من جهة ، ويعمل على إنهاض الفرد وتقوية شخصيته من جهة أخرى . وأول من وقف هذا الموقف ثلاثة من أشهر الفلاسفة هم . سقراط و أفلاطون و أرسطو (٣ ،ص ٧٢) .

٤-التعليم العالي : يقسم التعليم العالي الأثيني إلى قسمين أساسيين هما :

أ-المدارس الفلسفية : شهد القرن الرابع ، قبل الميلاد ، تطوراً مهماً في التعليم العالي. فقد شهد نشأة المدارس الفلسفية ، التي وضعت أساس هذا التعليم في أثينا : وأهم هذه المدارس : أكاديمية أفلاطون و مدرسة أرسطو (الليسيه). فقد كرست أكاديمية أفلاطون نفسها لتدريس الفلسفة والمنطق والميتافيزيقيا والأخلاق والسياسة والقانون والآداب والرياضيات والهندسة والموسيقا والفلك والطبيعيات ... وكانت تضم ضمن طلبتها بعض النساء ، لاعتقاد أفلاطون بأن للمرأة قدرة عقلية تشبه قدرة الرجل . أما الليسيه ، فكانت تعنى بدراسة الفلسفة والمنطق والأخلاق والخطابة والجمال ، إلى جانب الاهتمام الكبير بالعلوم الطبيعية والطبية و الحيوان والنبات والتشريح ،إلى جانب الميكانيكا والجيولوجيا والجغرافيا .

وقد أوجدت الأكاديمية والليسية ، التعليم المنظم ذي الطابع الفلسفي ، على نقيض التعليم غير النظامي ذي الطابع العملي ، الذي كان يقوم به السوفسطائيون . بالإضافة إلى مدارس أخرى أقامها الفلاسفة الأثينين أمثال أبيقور(٣٤١- ٢٧٠) ق.م الذي افتتح مدرسته سنة ٣٠٦ ق.م ، فأقبل عليه التلاميذ رجالاً ونساءً يتعلمون منه (حياة اللذة السهلة) . وزينون (٣٣٦- ٢٦٤) ق.م .مؤسس مدرسة الرواقين .

وغيرها من المدارس الأخرى التي أقامها الفلاسفة الآخرون .

ب- مدارس الخطابة : تهدف مدارس الخطابة - ولاسيما لدى السوفسطائيين -إلى تربية الشباب على قوة المنطق والحجة ، وأن ينشأوا على مقاومة الخصوم ويدربوا على سبل الإقناع فيمثل هذه التربية ، يصلون إلى ما يريدون ويصبحون قادرين على تسخير الحقائق لفائدتهم . كما كانوا يعلمون الناشئة مهارات الحديث والقدرة على التحدث في أي موضوع كان والدفاع عن الحق والباطل على حدّ سواء على أساس إيمانهم بنسبة الحقيقة .

ومن أشهر هذه المدارس ، مدرسة أبسوقراط (٤٣٦- ٣٣٨) والتي كانت تعرف بمدرسة الخطابة Rhetoric school ، وكان أبسوقراط من كبار المربين لدى اليونانيين ،و يعدّ سيداً للخطابة الإغريقية .تركت آراء السوفسطائيين تأثيراً كبيراً على التربية الإغريقية والرومانية فيما بعد . حيث أكد أبسوقراط أهمية الفنون الحرة [1] بالنسبة لإعداد الخطيب ،إلى جانب دراسته لمبادئ الخطابة وأساليبها ، كما أكد أهمية الغرض العلمي والنفعي للمعرفة ، وأهمية التربية في تكوين الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية (٥٥ ،ص٩٩) .

النظام التربوي في جمهورية أفلاطون :

وضع أفلاطون نظامه التربوي بقصد المحافظة على كيان المجتمع المثالي الذي رسمه في جمهوريته ، ولذا كان هذا النظام التربوي محافظاً . وقد أشار أفلاطون إلى أن هذه

---

(١)الفنون السبعة ، أو الحرة (عرفها أرسطو بأنها المواد الخليقة بالأحرار الذين لا يجبرون وراء المهارات العملية بل يسيرون وراء التفوق العقلي والخلقي وهذه الفنون هي: (النحو – الخطابة – المنطق – الحساب – الهندسة – الفلك – الموسيقا) .

الجمهورية المثالية لا يمكن أن تستقر إلا إذا وجد لها نظام تربوي يحافظ على طبيعتها وتراثها ، مؤكداً بذلك حقيقة من حقائق أصول التربية ومفادها أن بقاء أي نظام اجتماعي يتوقف على النظام التربوي الذي يعمل فيه .

وقد وضع أفلاطون سلطة الإشراف على هذا النظام التربوي في يد الحاكم ، أسوة بنظام التربية الإسبرطية ، كما جاءت محتويات التعليم التي اقترحها قريبة الشبه بمحتويات التعليم الإسبارطي ووسائله .

أما الخطوة الأولى في هذا النظام فهي انتزاع الأطفال من آبائهم ، كنقطة بداية لتكافؤ الفرص التعليمية ، التي هي في نظره قمة الديمقراطية ، و إعطاء هؤلاء الأطفال تعليماً عاماً من سن ٦-١٨ سنة ، يبدأ بالتربية الجسمية والرياضية البدنية و الموسيقا والأناشيد، لأن وجود الموسيقا إلى جانب التربية البدنية، يخلق نوعاً من الاتساق في رأيه . وقد فضل أفلاطون الموسيقا الإسبرطية على الموسيقا الأثينية لأن الموسيقا الأثينية تدعو إلى الميوعة . ولم يرَ أفلاطون مانعاً من استخدام الموسيقا لتعليم بعض المواد مثل التاريخ والعلوم والرياضيات، شريطة ألا تفرض هذه المواد على عقول الأطفال، وإنما تكون هناك حرية في الإقبال عليها . وطالب أفلاطون بأن يكون هناك أساس خُلقي للتربية، فيخضع الأفراد للقيم الخلقية للجماعة ويعترفون بوجود سلطة عليا . وفي نهاية هذه المرحلة يعقد امتحان يشمل النواحي الجسمية والعقلية ، فمن يفشل يؤول مصيره إلى الطبقة العاملة ، لأن العمال والصناع هم في نظره أدنى الطبقات . أما الذين يجتازون الامتحان فيواصلون دراستهم في المرحلة التالية .

وتنصب الدراسة في هذه المرحلة على النواحي العسكرية و الموسيقا أيضاً مدة سنتين ،وتحدث بعد ذلك تصفية ثانية يتم بمقتضاها تمييز جماعة الجنود عن جماعة المفكرين التي يرجى من أعضائها أن يكونوا حكاماً .

وتنصب الدراسة في المرحلة الثالثة على الهندسة والحساب والفلك والموسيقا والجدل .وقد اهتم أفلاطون بشكل خاص بالرياضيات لأنها كانت تشكل في نظره أساساً لدراسة الفلسفة ومقدّمة لها .

وفي سن الثلاثين تبدأ دراسة الفلسفة ، ولا ينصح أفلاطون بدراستها قبل ذلك لئلا يتعرض الفرد للحيرة الفكرية والتناقض في الرأي والرغبة في الجدل بدون طائل. وكانت الفلسفة تعني ، في نظر أفلاطون ، شيئين أساسيين :

١- أن يفكر الإنسان بوضوح ،ويتعرف طبائع الأشياء .

٢- أن يحكم بعقل وحكمة .

وفي سن الخامسة والثلاثين ،وبعد أن توشك تربية الحكام على الاكتمال ،يأتي دور التدريب الميداني ، فيخرج هؤلاء الحكام إلى الحياة العامة ويهيمون فيها كي يحصلوا على مزيد من الحكمة والفلسفة المتصلة بشئون الحياة . حتى إذا ما عركتهم هذه الحياة ،خمس عشرة سنة، وظهر من بينهم الملك الفيلسوف، أصبحوا حكاماً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وعندئذ يسمح لهم بالاعتزال أو التفرغ حتى ينصرفوا لحياة الدراسة والتأمل .

أما فيما يتعلق بتعليم المرأة ، فقد رأي أفلاطون :(أن المرأة ما هي في الحقيقة إلا رجل ضعيف) ، ولذلك نصح بتعليم الفتاة حتى يمكن اكتشاف قدراتها و إعدادها لتكون زوجة للملك الفيلسوف وتصلح لمناصب الحكام (٣ ،ص٨٠-٨١).

ثانياً – التربية الرومانية :

تعدّ التربية الرومانية ، امتداداً تاريخياً للتربية اليونانية ، رغم أن طبيعة الشعبين كانت مختلفة . فاليونانيون كانوا مفكرين ، بينما كان الرومانيون عمليين نفعيين .

وكان الرومانيون في المجالات الأدبية والمعرفية – تقريباً – مقلدين لا مبتكرين ، وإذا كان اليونانيون عرفوا كيف يفكرون عن العالم ، فإن الرومان عرفوا كيف يحكمون هذا العالم . والقانون الروماني ، يعدّ من أعظم الإنجازات البشرية (إلى جانب شريعة حمورابي) التشريعية والحقوقية ، فما يزال يدرس في جامعات العالم إلى اليوم .

يعدّ القرنان الأول والثاني الميلاديين ، قمّة عظمة الإمبراطورية الرومانية ، التي كانت تسيطر على مساحات شاسعة من الأراضي ، وتضم شعوباً كثيرة بلغ تعدادها نحو مائة مليون فرد (٥٥ ،ص ١٣٢) .

نظام التعليم الروماني :

سنقصر الحديث عن مرحلة ازدهار الحضارة الرومانية ،متجاوزين المراحل الأخرى . لقد استطاع الرومان أن يكوّنوا بالاستناد إلى النظم التربوية اليونانية ، نظاماً لم يصل اليونانيون أنفسهم إلى تكوينه في يومٍ من الأيام ، ويتضمن هذا النظام ثلاثة مستويات من المؤسسات التربوية هي :

١–مدارس الأدب :مدة الدراسة فيها خمس سنوات(٧–١٢)من العمر، تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقانون والأوديسة [١] والأمثال و الأشعار. وكانت هذه

---

(١)الأوديسة: Odyssein – قصة أوديسيوس أحد أبطال حرب طروادة–وهي ملحمة شعرية تتألف من ١٢ ألف بيت من الشعر كتبها الشاعر هوميروس ، إلى جانب ملحمته الشعرية الإلياذة.

المدارس للجنسين ، إلا أن الغالبية العظمى كانت من البنين ، و بالتحديد من أبناء الطبقة الغنية في المجتمع .

٢-مدارس النحو : أول ما ظهرت هذه المدارس في روما ، في القرن الأول قبل الميلاد ، ثم ظهرت أيضاً في جميع أنحاء البلاد . وكان الأولاد الرومانيون يدخلون مدرسة النحو في سن الثانية عشر من العمر ، ويبقون عادة نحو أربع سنوات .

وتقسم هذه المدرسة إلى قسمين :

أ- مدارس خاصة لتعليم اللغة اليونانية .

ب- مدارس خاصة لتعليم اللغة اللاتينية.

وقد أوصى كوانتليان - Quinilien (٣٥ - ٩٥) بعد الميلاد. بالذهاب إلى المدارس اليونانية أولاً و تعلم لغتها . و قد كان أهم عمل في هذه المدارس هو دراسة علم اللغة ، بالإضافة إلى منتخبات شعرية و نثرية كثيرة من الآداب الرومانية و اليونانية . و كانت قصائد و أشعار هوميروس تحظى بمكانة مرموقة في مناهج هذه المدرسة ، بالإضافة إلى تعليم الفنون الحرة.

- مدارس الخطابة : كانت هذه المدارس تقليداً لمدارس الخطابة في أثينا ، يرتادها التلاميذ في سن السادسة عشرة لدراسة فن الخطابة ، وهدفها الرئيس ، إعداد خطباء في المجتمع الحرّ .تشتمل موضوعات الخطابة ، القانون الروماني والمذاهب الأخلاقية . ويرى شيشرون [1] أن الخطيب الناجح يجب أن يلم بالفلسفة والسياسة والجغرافية والرياضياتوالقانون والمنطق والفنون العسكرية (٥٥ ، ص ١٢٧)

أما التعليم العالي ، فكان في المكتبات العامة الكبيرة (الجامعات) التي أنشأها الأباطرة الرومان . وكان الطلاب يدرسون فيها الهندسة والطب و القانون و الآداب

---

(١)شيشرون- Ciceron (١٠٦-٤٣)ق.م أكبر خطيب وكاتب ومفكر عرفته روما .

والخطابة والفلسفة،ومن أشهرها جامعة روما والقسطنطينية والإسكندرية(٣،ص١٠٢

)

ثالثاً – النظام التربوي لدى الفرس :

استدعى النظام المدرسي لدى الفرس اهتمام كبار مفكري العصور القديمة ولاسيما اليونان، وظل هذا النظام قائماً حتى الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس .

تعدّ الأسرة الفارسية ، الموسسة التربوية الأولى ، وعلى الرغم من أن التربية الأسرية كانت رقيقة نسبياً ، إلا أنها لم تكن تخلو من قسوة وسيطرة الأب المطلقة ، فهو السيد المطاع المحترم و هو يجسد المثل الأعلى الذي يدرب أبناءه على اقتدائه . ويخبرنا هيرودوت أن الفرس كانوا يعلمون أبناء هم أموراً ثلاثة هي ركوب الخيل ورمي السهام وقول الحق ، وكانوا يتوسمون منهم من وراء ذلك ،جملة من الصفات الخليقة الحميدة ، والطاعة ومحبة الآباء والعدل والشجاعة والاعتدال والتعلق بالشرف والسعي إلى إرضاء الآلهة .

أما التعليم النظامي لأبناء الطبقة العليا ، فقد كان يبدأ في سن الخامسة أو السابعة ويستمر حتى الرابعة والعشرين . وكان يتم في (المدرسة المركزية) التابعة للقصر الملكي أو في مدارس البلاط الفرعية التابعة للحاكم الإقليمي . وكانت الدراسة غير أكاديمية في سنوات التعليم الأولى ، إذ كان التلاميذ يدربون على إطلاق السهام وركوب الخيل واستعمال الرماح ، إلى جانب التدريبات العسكرية الأخرى . وفي مجال التربية الفكرية، كان البرنامج الدراسي يشتمل على قراءة (الأفستا) وعلى الكتابة .ويتحدث أفلاطون عن أبناء الملوك الفرس كيف كانوا يتعلمون الحكمة الزرادشتية والعدل والاعتلال والشجاعة .

وفي سن الخامسة عشرة من العمر ، كان الشبان يقسمون اليمين بأن يتبعوا شريعة زرا دشت المقدسة ، ثم يصبحون موظفين في الدولة ، ويحتفل بهم بترتيل القصائد الدينية (٣ ،ص ٣٤) . وبين الخامسة عشرة والعشرين من العمر كانت تتم التربية العسكرية ، فكان الشاب يتلقى أولاً حزام الرجولة ، ثم يقسم أن يتبع تعاليم زرا دشت وأن يخدم الدولة بإخلاص ، ثم يأخذ بالتدرب على المبارزة والنزال واستخدام السلاح (٣٦ ،ص ٤٤) .

أما الطلاب ذووا الميول الأكاديمية،فإنّ من ينوي منهم احتراف الكهانة ، كان عليه أن يمضي عشر سنوات أخرى في الدراسة النظامية ، ذات الطابع اللاهوتي المحض ، إلى جانب تعلم مواد أخرى مثل الطب والقانون والفلك وغيرها .

تبدأ الدراسة عادةً في المدارس الفارسية في وقت مبكر ، وكان على الطلاب أن ينهضوا من النوم مع الفجر ، ويجتمعوا في الساحة العامة ، ثم ينقسموا إلى فرق عدة ، في كل فرقة خمسة عشر شاباً ويسيرون مسيرة طويلة بإشراف معلميهم ، ثم تأتي التمرينات الفكرية تتخلل التمرينات العسكرية . ولم يكن منهاج الدراسة واحداً للجميع . فمنهاج المحاربين يضم الدين والقراءة والكتابة والتربية البدنية بوجه أخص . أما منهاج السحرة أوسع وأرحب ، يضم الدين والتاريخ والرياضيات والفلك والتنجيم والكيمياء وغيرها (٣٦ ،ص ٤٥) .

وقد تابع الفرس تقاليدهم الشفوية ، خلافاً لما كان يفعل السومريون والأكاديون والبابليون ، ولم يؤكدوا على تعليم القراءة والكتابة ، حتى تاريخ متأخر جداً . وقد يكون تعليم الكهنة النظامي ، مجرد جزء من الفعاليات التربوية التي كانت شائعة عند الفرس . فقد اعتمدت الثقافة الفارسية - شأنها في ذلك شأن الثقافات التي سبقتها - الآليات غير النظامية في التنشئة الاجتماعية وتدريب الجنود والحرفيين، من

أبناء الطبقات الدنيا (٣ ،ص٣٤) .

* * *